سُورَةُ الأنفال

ـ **(ابن إسحاق)** حدثني الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال سألته عن الأنفال قال: فينا يوم بدر نزلت كان الناس على ثلاث منازل ثلث يقاتلون العدو وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى وثلث عند الخيمة يحرس رسول الله فلما جمع المتاع اختلفوا فيه فقال الذين جمعوه وأخذوه قد نفل رسول الله كل امرىء منا ما أصاب. وقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه وقال الحرس: والله ما أنتم بأحق به منا لقد رأيتنا أن نقاتل العدو وحين منحنا الله أكتافهم أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكنا خفنا غرة العدو على رسول الله فقمنا دونه قال: فانتزعها الله من أيدينا فجعله إلى نبيه فقسمه على السواء لم يكن فيه يومئذ خمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله وصلاح ذات البين (م).

ـ **(داود)** بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً من فعل كذا وكذا أو أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع الشباب إلى ذلك وثبت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم تنازعوا فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾(1). صحيح.

ـ **(إسرائيل)** عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما فرغ رسول

(1) سورة الأنفال: الآية 1.

الله من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه إنه لا يصلح لك قال: لم؟ قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أنجز لك ما وعدك. صحيح.

ـ **(شعبة)** عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾[2] قال نزلت[3] فينا يوم بدر (م).

ـ **(موسى)** بن عقبة عن أبي شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبي فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله ترقوة أبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فسقط أبيّ عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما أعجزك إنما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله: بل أنا أقتل أبياً. ثم قال: «**والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين فمات أبيّ إلى النار فسحقاً لأصحبا السعير قبل أن يقدم مكة فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾**[4]» الآية. (خ م).

ـ **(صالح)** بن كيسان وغيره عن الزهري حدثني عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير قال: كان المستفتح أبو جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه. فأنزل الله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] (خ م).

(2) سورة الأنفال: الآية 16.
(3) التلخيص 2/ 327.
(4) سورة الأنفال: الآية 17.
(5) سورة الأنفال: الآية 19.

ـ **(الأعمش)** عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[6] قال يحول بين الكافر وبين الإيمان ويحول بين المؤمن وبين المعاصي (خ م).

ـ **(الثوري)** عن ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده جمع رسول الله قريشاً فقال: هل فيكم من غيركم قالوا فينا ابن أختنا وفينا[7] مولانا فقال: حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أوليائي منكم المتقون. صحيح.

ـ **(يزيد)** بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر سمعت النبي يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[8] ألا إن القوة الرمي (خ م) وبعضهم أوقفه.

ـ **(معمر)** عن ابن طاؤس عن أبيه عن ابن عباس قال: إن الرحم لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء وتلا: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[9] (خ م).

ـ **(فضيل)** بن غزوان قال لقيت أبا إسحاق بعدما عمي فقلت أتعرفني؟ قال إني لأعرفك وأحبك. ثم قال حدثني أبو الأحوص عن عبد الله قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[10] الآية (خ م).

ـ **(إسرائيل)** عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال استشار رسول الله في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم الرسول فأنزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ

(6) سورة الأنفال: الآية 24.
(7) التلخيص 2/ 329.
(8) سورة الأنفال: الآية 60.
(9) سورة الأنفال: الآية 63.
(10) المرجع السابق.
(11) سورة الأنفال: الآية 67.

لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾[11] فأتى النبيَ عمرُ فقال كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء. صحيح قلت على شرط (م).

ـ (عبيد الله) بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن خيثمة قال: كان سعد في نفر فذكروا علياً فشتموه فقال سعد مهلاً عن أصحاب[12] محمد فإنا أصبنا ديناً مع رسول الله فأنزل الله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[13] فارجوا أن تكون رحمة من عند الله سبقت لنا فقال بعضهم إنه كان يبغضك ويسميك الأخنس فضحك سعد حتى استعلاه الضحك ثم قال أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر ويكون بينه وبينه ثم لا يبلغ ذلك أمانته وذكر كلمة أخرى (خ م)[14].

من قتل قتيلًا فله سلبه

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [8/ 1]

[15](حدثنا سفيان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ، يوم بدر: **«من جاء بأسير فله سلبه»** فجاء أبو اليسر بأسيرين. فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله! حرسناك مخافة عليك. فنزلت ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾[16]. ورواه عبد الرزاق، عن سفيان).

---

(12) التلخيص 2/ 329.

(13) سورة الأنفال: الآية 68.

(14) التلخيص 2/ 330.

(15) سير أعلام النبلاء 1/ 274 ترجمة سعد بن عبادة.

(16) أخرجه الطبري في تفسيره 9/ 171، وابن الجوزي 3/ 316، وابن كثير 4/ 8، والسيوطي 4/ 6، وأخرجه أبو داود في سننه 3/ 102، والبيهقي في السنن الكبرى 6/ 291، والحاكم في المستدرك 2/ 131، ووافقه الذهبي، وانظر المصنف لعبد الرزاق 5/ 239.

[17]عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: **«من فعل كذا وكذا، فله من النفل كذا [21أ] وكذا.**

قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات ـ فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنا ردئاً لكم، لو انهزمتم، فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى ـ فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا.

فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

يقول: فكان ذلك خيراً لهم. فكذلك أيضاً أطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. أخرجه أبو داود[18].

النفاق تتفاوت درجاته

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [8/ 2]

[19](أخبرنا أبو المعالي الأبرقوهي، أخبرنا أبو الفرج بن عبد السلام أخبرنا أبو الفضل الأرموي، وأبو غالب بن الداية، وأبو عبد الله الطرائفي، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرنا عُبيد الله الزهري، أخبرنا جعفر الفريابي، حدثنا إسحاق بن راهويه، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا أبو معشر، عن سعيد هو المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»** قال رجل: يا رسول الله، ذهبت اثنتان، وبقيت واحدة؟ قال: **«فإن عليه شعبة من نفاق،**

(17) تاريخ الإسلام 2/ 114.

(18) انظر السنن 3/ 30، والمسند لأحمد 5/ 324، والحاكم في المستدرك 2/ 135، صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وسبق تخريجه قريباً بلفظ آخر.

(19) سير أعلام النبلاء 11/ 362 سيرة إسحاق بن راهوية.

(20) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان ص 12.

ما بقي فيه منهن شيء»[20].

هذا حديث حسن الإسناد، وأبو معشر نجيح السندي[21] صدوق في نفسه، وما هو بالحجة. و[أمّا] المتن، فقد رواه جماعة عن أبي هريرة].

وفيه دليل على أن أن النفاق يتبعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص، فالكامل الإيمان من اتّصف بفعل الخيرات، وترك المنكرات وله قرب ماحية لذنوبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: 10 ـ 11] ودون هؤلاء خلق من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ودونهم عصاة المسلمين، ففيم إيمان ينجون به من خلود عذاب الله تعالى وبالشفاعة. ألا تسمع إلى الحديث المتواتر «أنه يخرج من النار من في قلبه وزن ذرةٍ من إيمان» وكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر والرياء، وطلب العلم ليقال، وحب الرئاسة والمشيخة، وموادة الفجار والنصارى. فمن ارتكبها كلها، وكان في قلبه غِلُ النبي ﷺ، أو حرج من قضاياه، أو يصوم رمضان غير محتسب، أو يُجَوِّز أن دين النصارى أو اليهود دين مليح، ويميل إليهم. فهذا لا تَرْتَبْ في أنه كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، وصفاته الممقوتة عديدة في الكتاب والسنة من قيامه إلى الصلاة كسلان، وأدائه الزكاة وهو كاره، وإن عامل الناس فبالمكر والخديعة، قد اتخذ إسلامه جُنَّةً، نعوذ بالله من النفاق، فقد خافه سادة الصحابة على نفوسهم.

فإذا كان فيه شعبة من نفاق الأعمال، فله قسط من المقت حتى يدعها، ويتوب منها، أما من كان في قلبه شك من الإيمان بالله ورسوله، فهذا ليس بمسلم وهو من أصحاب النار، كما أن من في قلبه جزم بالإيمان

(21) انظر ترجمته في الميزان 5/ 371.

بالله ورسوله وملائكته وكتبه وبالمعاد، وإن اقتحم الكبائر، فإنه ليس بكافر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] وهذه مسألة كبيرة جليلة، قد صنف فيها العلماء كتباً، وجمع فيها الإمام أبو العباس شيخنا مجلداً حافلاً قد اختصرته. فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا حتى نوافيه فيه).

الإمارة أو الإمامة ليست من الإيمان

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [8/2]

(22)(فإن النبي ﷺ فسر «الإيمان» وشعبه، ولم يذكر «الإمامة» في أركانه، ولا جاء ذلك في القرآن، بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: 15] وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ - إلى قوله - وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177] إلى غير ذلك من الآيات. ولم يذكر «الإمامة» ولا أنها من أركان الإسلام.

طلب الدنيا مع الدين لا حجر فيه

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [8/7]

(23)وبه عنه في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ قال:

(22) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 28.

(23) تاريخ الإسلام 2/ 93.

أقبلت عِير أهل مكة تريد الشام ـ كذا قال ـ فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العِير. فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير، فسبقت العِير رسول الله ﷺ وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين.

وكانوا أن يلقوا العِير أحب إليهم، وأيسر شوكة وأحضر مغنماً.

فسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره المسلمون مسيرهم لشوكة القوم، فنزل رسول الله ﷺ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم القنط يوسوسهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم كذا، فأنزل الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا. فأذهب الله عنهم رجز الشيطان وصار الرمل، يعني ملبداً وأمدهم الله بألفٍ من الملائكة. وجاء إبليس في جندٍ من الشياطين، معه رايته في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال للمشركين: «**لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم**» فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فأنصره[24].

تكرار تلاوة الآية في الشدائد

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [8/9]

[25](وعن محمد بن منصور الطوسي، قال: قعدت مرة إلى معروف. فلعله قال: واغوثاه يا الله، عشرة آلاف مرة، وتلا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[26].

(24) تفسير الطبري 9/ 187، والسيوطي أيضاً 4/ 24.

(25) سير أعلام النبلاء 9/ 342 سيرة معروف الكرخي.

(26) انظره في طبقات الحنابلة 1/ 385.

رفع اليدين في الدعاء عند الشدائد

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [8/ 9]

(27)قال عكرمة بن عمار: حدثني أبو زُميل سماك الحنفي، حدثني ابن عباس، عن عمر قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك: فأنزل الله [عز وجل] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة(28).

(29)(روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن عمر قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه وهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**». فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبيّ الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فأمده الله بالملائكة)(30).

---

(27) تاريخ الإسلام 2/ 84.

(28) أخرجه البخاري انظره مع الفتح 7/ 290، وانظر تفسير الطبري 9/ 189، وتفسير ابن أبي حاتم 5/ 1663، وابن الجوزي 3/ 325، وابن كثير 4/ 18، والسيوطي 4/ 18.

(29) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 360.

(30) انظر صحيح مسلم 3/ 1383، وانظر المراجع السابقة في الذي قبله.

الملائكة يتصورون بصورة المعروفين ليثبتوا المؤمنين

[31]وجاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [8/ 21].

ذكر الواقدي، عن إبراهيم [بن إسماعيل] بن أبي حبيبة، حدثه عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس، [يثبتونهم] فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا. إلى غير ذلك من القول[32].

السبع الموبقات

[33]قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [8/ 16].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فذكر منها التولي يوم الزحف[34].

الله سبحانه لا يطلق عليه (متحيز)
لأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته
﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [8/ 16]

[35](وأما «المتحيز» ففي اللغة: ما تحيز إلى غيره، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ وهذا لا بد أن يحيط به حيز وجودي، فالباري تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته فلا يكون متحيزاً في اللغة).

---

(31) تاريخ الإسلام 2/ 87.

(32) انظر تفسير الطبري 9/ 197، وابن كثير 4/ 25.

(33) كتاب الكبائر ص 47.

(34) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان ص 17، وانظر تفسير ابن كثير 4/ 28.

(35) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 110.

إصابة الرامي الهدف بتقدير الله

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [8/17]

(36)(قال أحمد بن فضيل العكي: غزا أبو معاوية الأسود، فحضر المسلمون حصناً فيه علج لا يرمى بحجر ولا نشاب إلا أصاب، فشكوا إلى أبي معاوية، فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ استروني منه، فلما وقف، قال: أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير. فقال: أي رب، قد سمعت ما سألوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمى المذاكير، فوقع).

أمية بن خلف قتله الرسول بيده

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [8/17]

(37)كان أبي بن خلف قال حين أُفتُدِي: والله إن عندي لفرساً أعلفها كل يوم فرق ذرة، ولأقتلن عليها محمداً. فبلغ قولُه رسولَ الله ﷺ فقال: «**بل أنا أقتله إن شاء الله**»، فأقبل أبيّ مقنّعاً في الحديد على فرسه تلك يقول: لا نجوت إن نجا محمد. فحمل على رسول الله ﷺ.

قال موسى: قال سعيد بن المسيب: فاعترض له رجال، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا طريقه، واستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله ﷺ، فقتل مصعب. وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة البيضة والدرع، فطعنه فيها بحربته، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم.

قال سعيد: فكسر ضلع من أضلاعه، ففي ذلك نزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا: ما جزعك؟ إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «**بل أنا أقتل أبياً**»

---

(36) سير أعلام النبلاء 9/ 79 سيرة أبو معاوية الأسود.

(37) تاريخ الإسلام 2/ 179.

ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتو أجمعون. فمات قبل أن يقدم مكة[38].

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [8/ 19]

[39]عن عبد الله بن ثعلبة بن صُهير أن المستفتح يوم بدر أبو جهل. قال لما التقى الجمعان: اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا يُعرف، فأحنه الغداة. فقتل. ففيه أنزلت ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[40].

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [8/ 22]

[41]عن عبد الحميد صاحب الزيادي، سمع أنساً يقول: قال أبو جهل ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ متفق عليه[42].

من خصائص الرسول إذا نادى أن يجاب ولو كان أثناء الصلاة

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [8/ 24]

[43](جاء في البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت

---

(38) انظر تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1673، وابن الجوزي 3/ 333، وتفسير ابن كثير 4/ 32، والسيوطي 4/ 41.

(39) تاريخ الإسلام 2/ 93.

(40) انظر تفسير الطبري 9/ 207، وابن أبي حاتم 5/ 1675، وابن كثير 4/ 32، والسيوطي 4/ 42.

(41) تاريخ ازسلام 2/ 93.

(42) متفق عليه انظره في صحيح البخاري مع الفتح 8/ 309، وصحيح مسلم مع النووي 17/ 139.

(43) تنقيح التحقيق 3/ 30.

أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، فلما أتيته، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾»[44].

عند وقوع الفتنة يعجز العقلاء عن نصح السفهاء

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [8/ 25]

[45](والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر ـ رضي الله عنهم ـ عاجزين عن إطفاء الفتنة وكفّ أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمة الله).

النهي عن الخوض في الفتنة

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [8/ 25]

[46]روى أحمد في «مسنده» من حديث مطرف قال: قلت للزبير: يا أبا عبد الله ما شأنكم ضيعتم عثمان حتى قتل، ثم جئتم تطالبون بدمه؟! فقال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، لم نكن نحسب أنا أهلها، حتى وقعت منا حيث وقعت[47].

---

(44) أخرجه البخاري في صحيحه انظره مع الفتح 8/ 156، انظر تفسير الطبري 9/ 21، وابن الجوزي 3/ 338، وابن كثير 4/ 34.

(45) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 238.

(46) تاريخ الإسلام 30/ 504.

(47) انظر تفسير الطبري فقد أورد القصة باختصار 9/ 218، ومثله ابن أبي حاتم 5/ 1682، ومثله ابن الجوزي 3/ 341، وابن كثير بهذا اللفظ 4/ 37، وأيضاً السيوطي 4/ 46، وانظر مسند أحمد 4/ 165.

كل الخيانات قبيحة ولكنها تتفاوت

[48]قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [8/ 27].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

وقال النبي ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[49].

وقال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»**[50].

والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شرُ من بعض، وليس من خانك في فلسٍ كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم.

عقاب الإنسان نفسه من علامات التوبة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [8/ 27]

[51]وقال سعيد بن المسيب: إن ارتباطه بسارية التوبة كان بعد تخلفه عن غزوة تبوك حين أعرض عنه رسول الله ﷺ وهو عليم، بما فعل يوم قريظة، ثم تخلف عن غزوة تبوك فيمن تخلف ـ والله أعلم.

[وذكر] علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، عن ابن عباس في ارتباطه حين تخلف عن تبوك ما يؤكد قول ابن المسيب، قال: نزلت هذه الآية في أبي لُبابة[52]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

---

(48) كتاب الكبائر ص 98.

(49) أخرجه أحمد في المسند 3/ 135.

(50) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان ص 12.

(51) تاريخ الإسلام 2/ 312.

(52) انظر تفسير الطبري 9/ 221، وابن أبي حاتم 5/ 1684، وابن الجوزي 3/ 343، وابن كثير 4/ 40، والسيوطي 4/ 48.

العطف على الصغير عبادة

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [8/ 28]

وقال[53] حسين بن واقد: حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله يخطب فأقبل الحسن والحسين، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته. إسناده صحيح[54].

العمل الفدائي

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [8/ 30]

[55]عن البراء قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو مكانه وأصحابه على أثري، ثم أتى بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، ثم عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، ثم أتانا رسول الله ﷺ وأبو بكر معه، فلم يقدم علينا رسول الله حتى قرأت سوراً من المفصل. أخرجه مسلم[56].

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وإن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يأخذوا رسول الله ﷺ فإما أن يقتلوه أو

(53) تاريخ الإسلام 5/ 97 ترجمة الحسين بن علي.
(54) أخرجه الترمذي في جامعه وصححه 5/ 658.
(55) تاريخ الإسلام 1/ 316.
(56) بل متفق عليه انظره في البخاري مع الفتح 6/ 622، وفي صحيح مسلم مع النووي 18/ 148، والإمام أحمد في مسنده 1/ 3، وابن أبي شيبة في مصنفه 14/ 227.

يحبسوه أو يخرجوه، فأخبره الله بمكرهم في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، فخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر تحت الليل قِبَلَ الغار بثور وعمد علّي فرقد على فراش رسول الله ﷺ يواري عنه العيون).

دعوة الكافر على نفسه مستجابة

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [8/ 33]

(57)أخبرنا محمد بن محمد المقدسي، أنا ابن عبد الدائم، أنا ابن صدقة. (ح) وأنا أحمد بن هبة الله عن المؤيد قالا: أنا محمد بن الفضل، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا ابن عمروية، أنا ابن سفيان، ثنا مسلم، ثنا عبيد الله بن معاذ العتبري، نا أبي، نا شعبة عن عبد الحميد الزيادي أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(58).

الإسلام يهدم ما قبله

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [8/ 38]

(59)(وقوله - الرافضي - «إن أبا سفيان كسر ثنية النبي ﷺ» فإنما كسرها عُتبة بن أبي وقاص. ولاكت هند كبد حمزة ولفظتها، ثم منّ الله عليها بالإسلام، وكان النبي ﷺ يكرمها، أنها حماته، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، وفي مسلم من حديث عمرو

(57) معجم الشيوخ 2/ 281.

(58) انظر تفسير الطبري 9/ 235، وابن أبي حاتم 5/ 1691، وابن الجوزي 3/ 349، وابن كثير 4/ 49، والسيوطي 4/ 55.

(59) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 268.

بن العاص [أن النبي ﷺ قال له]: «**الإسلام يهدم ما كان قبله**»[60] [وفي صحيح البخاري: لما أسلمت هند أم معاوية رضي الله عنهما قالت: والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر أهل خِباء أحبُّ إليَّ أن يعزوا من أهل خبائك][61]).

خمس الغنيمة لولي الأمر بعد وفاة الرسول

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [8/ 41]

[62]وقال الوليد بن مسلم، وعمر بن عبد الواحد: ثنا صدقة أبو معاوية، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن يزيد الرقاشي، عن أنس أن فاطمة أتت أبا بكر فقالت: قد علمتَ الذي خلّفنا عنه من الصدقات أهل البيت. ثم قرأت عليه ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى آخر الآية، فقال لها: بأبي وأمي أنتِ ووالدك وولدك، وعليّ السمعُ والبصر كتاب الله وحق رسوله وحق قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله مثل الذي تقرأين، ولا يبلغ علمي منه أذى لقرابة رسول الله ﷺ هذا السهم كله من الخمس يجري بجماعته عليهم، قالت: أفلك هو ولقرابتك؟ قال: لا، وأنت عندي أمينة مصدقة، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في ذلك عهداً ووعدك موعداً أوجبه لك حقاً وسلمته إليك، قالت: لا، إلا أن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه في ذلك قال: أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى.

---

60) أخرجه مسلم في صحيحه 1/ 112.

61) متفق عليه انظره في صحيح البخاري مع الفتح 11/ 525، ومسلم في صحيحه 3/ 1339.

62) تاريخ الإسم 3/ 24.

تقدير الله فوق تقدير البشر

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ [8/42]

(63)ذكر الزهري قال: إنما خرج رسول الله ﷺ بمن خرج من أصحابه يريدون عير قريش لتي قدم بها أبو سفيان من الشام، حتى جمع الله بين الفئتين من غير ميعاد. قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ (64).

الشيطان يخذل أولياءه في المواقف الحرجة

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [8/48]

(65)ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً. فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم. فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه وكانت يدهُ في يد رجل من المشركين نزع يده وولى مدبراً وشيعتُه. فقال الرجل: يا سراقة، أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ (66).

---

(63) تاريخ الإسلام 2/ 74.

(64) انظر تفسير الطبري 10/ 11، وابن أبي حاتم 5/ 1708، وابن كثير 4/ 67، وأخرجه البخاري في صحيحه انظر مع الفتح 7/ 285.

(65) تاريخ الإسلام 2/ 94.

(66) انظر تفاسير: الطبري 10/ 19، وابن أبي حاتم 5/ 1715، وابن الجوزي 3/ 366، وابن كثير 4/ 73.

عقوبة من أخطأ في القرآن

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن﴾ [8/ 60]

أخذ[67] عن أبي إسحاق التونسي بالقيروان. وكانت بينه وبين المذكور وبين حمّود مطالبات ومشاحنات، جرت عليه منها محنة بسبب كلمة قالها. وذلك أنه خطب الخطيب فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن﴾ عدة. فقال لناس: أخطأ الخطيب، أبدل مكان (قوة) (عدة). فقال هو: الوزن واحد. نقيل: كفر. وأفتى عليه أولئك الفقهاء بالإستتابة فسُجن، ثم أخرج، فرحل لى ناس، فولّاه أمير المؤمنين ابن كاشغين قضاء فاس، فأحسن السيرة.

الرافضة يعادون المؤمنين ويوالون الكفار والمنافقين

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ لَا وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [8/ 61 ـ 62]

[68](ومنها أن الكلام في سياق النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين، والرافضة يعادون المؤمنين ويوالون المنافقون مشركي التتار كما شاهدنا، وقال الله تعالى لنبيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ لَا وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ والرافضة تريد أن تفرق بين قلوب خيار الأمة بالأكاذيب. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ [الزمر: 33 ـ 35] فهذا الصنف هم أشرف الأمة، وقد وعدهم بأنه يكفر عنهم أسوأ أعمالهم، وعليّ فعندهم [الرافضة] معصوم فقولوا لِمَ يدخل في الآية؟ وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 55] الآية. فوعدهم الاستخلاف وأخبر برضاه عنهم وبأنهم متقون وبأنه أنزل

---

(67) تاريخ الإسلام 32/ 128، وسير الأعلام 18/ 551 ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن العجوز.

(68) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 67.

السكينة عليهم، وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فإنه إذ ذاك الزمان حصل بهم الاستخلاف وتمكين الدين والأمن بعد الخوف، إلى أن قهروا فارس والروم، وافتتحوا الشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك. فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً، بل طمع فيهم الروم وغيرهم).

الرافضة يؤلون الآيات على غير تأويلها

(69)﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [8/ 62] فهذا نص في عددٍ مؤلفٍ بين قلوبهم فصرفه إلى واحد تحريف وتبديل. ثم من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ ما كان قيام دينه وتأييده بمجرد موافقة عليّ، بل ولا بأبي بكر، ولكن بالمهاجرين والأنصار).

آية نزلت في المتحابين

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [8/ 63]

(70)(حدثنا أحمد بن عمران، حدثنا ابن فُضيل، حدثني أبي قال أتيت أبا إسحاق بعدما كُفَّ بصره، قال: قلت: تعرفني؟ قال: فُضيل" قلت: نعم. قال: إني والله أحبك، لولا الحياء منك لقبلتُك، فضمني إلى صدره، ثم قال: حدثني أبو الأحوص عن عبد الله ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ نزلت في المتحابين)(71).

---

(69) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 449.

(70) سير أعلام النبلاء 5/ 396 ترجمة أبو إسحاق السبيعي.

(71) انظر تفاسير: الطبري 10/ 36، وابن أبي حاتم 5/ 1727، وابن كثير 4/ 85، والسيوطي 4/ 100.

الرافضة يجمعون بين النقائض

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [8/ 64]

(72)(ثم لو فرضنا أن ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فاعلٌ معطوف على الله لما كان مختصاً بعلي، إذ كان وقت نزول الآية قد اتبع الرسول من المؤمنين عدد كثير جداً، ولم يقل عاقل إن علياً وحده كان يكفي الرسول في جهاد الكفار، ولو لم يكن معه إلا عليٌّ لما ظهر، فقد كان معه بمكة بضع عشرة سنة هو وطائفة وما قام الدين وانتصر إلا بعد الهجرة، بل هذا عليٌّ ومعه أكثر جيوش الإسلام ما قدر على أخذ الشام من معاوية وهؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين جهلاً وظلماً: يجعلون علياً رضي الله عنه أكمل البشر قدرة وشجاعةً، وأن الرسول كان محتاجاً إليه، وأنه الذي أقام الدين، ثم يصفونه بالعجز والتقية بعد ظهور الإسلام. فمن يقهر ـ عندكم ـ المشركين والجنَّ والإنس في مبدأ الإسلام وقلة أهله وكثرة أعدائه كيف لا يقهر طائفة بغت عليه).

نزول القرآن موافقاً لاجتهاد عمر بن الخطاب

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [8/ 67]

(73)قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال لرسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء؟

فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: **«ما ترى يابن الخطاب؟»**.

---

(72) المنتقى من منهاج السنة النبوية ص 450.

(73) تاريخ الإسلام 2/ 116.

قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن، علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيب لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر يبكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكيان، فإن وجدتُ بكاءً بكيت، وإلا تباكيت لبكائكما. فقال: **«أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عُرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، شجرة قريبة من نبي الله ﷺ»**.

وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ فأحل الله لهم الغنيمة: أخرجه مسلم[74].

فداء الأسراء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [8/ 70]

[75](يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم. ففدى كل قوم أسيرهم، بما تراضوا وقال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلماً.

إلى أن قال. وأُنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

---

(74) انظر تفاسير: الطبري 10/ 43، وابن أبي حاتم 5/ 1731، وابن كثير 4/ 88، والسيوطي 4/ 104، وانظر مسند أحمد 3/ 243.

(75) سير أعلام النبلاء 2/ 82، وتاريخ الإسلام 2/ 118 ترجمة العباس بن عبد المطلب

قال: فأعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام، عشرين عبداً كلهم في يده مالٌ يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى)[76].

[77]سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ بمال ثمانين ألفاً من البحرين، فنُثرت على حصير، فجاء النبي ﷺ، فوقف، وجاء الناس، فما كان يومئذ عدد ولا وزن، [ما كان إلا قبضاً].

فجاء العباس بخميصة عليه فأخذ، فذهب يقوم، فلم يستطع فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: ارفع عليَّ. فتبسم رسول الله حتى خرج ضاحكه ـ أو نابه ـ فقال: أعد في المال طائفة، وقم بما تُطيق. ففعل.

قال: فجعل العباس يقول ـ وهو منطلق ـ أما إحدى اللتين وعدنا الله، فقد أنجزها [يعني قوله]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ فهذا خير مما أُخذ مني ولا أدري ما يصنع في الآخرة)[78].

الإرث بالنسب نسخ الإرث بأخوة الإسلام

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ [8/75]

[79](حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ آخى بين الزبير وكعب بن مالك، فارتُثَّ [جرح] كعب يوم أحد، فجاء به

---

(76) انظر تفاسير: الطبري 10/49، وابن أبي حاتم 5/1736، وابن كثير 4/93، والسيوطي 4/112.

(77) سير أعلام النبلاء 2/89 ترجمة العباس بن عبد المطلب.

(78) انظر تفاسير: الطبري 10/50، وابن أبي حاتم 5/1736، وابن الجوزي 3/383، وابن كثير 4/94، والسيوطي 4/112.

(79) سير أعلام النبلاء 2/524 ترجمة كعب بن مالك.

الزبير، يقوده ولو مات يومئذ، لورثه الزبير، فأنزل الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾)[80].

[81](الواقدي: حدثنا ابن أبي الزنّاد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير وبين كعب بن مالك.

قال الزبير: فلقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات، فانقلع عن الدنيا، نورثته، حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فصارت [المواريث بعد للأرحام والقربات، وانقطعت] حتى نزلت ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ [تلك المواريث بالمواخاة])[82].

آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [8/ 75]

[83]وقد روى أبو داود الطيالسي، عن سليمان بن معاذ، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار، وورث بعضهم من بعض، حتى نزلت [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض][84].

الخلاف في (الرد) في المواريث

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [8/ 75]

وفيها[85] كتبت بأمر الخليفة الكتب إلى الآفاق، بأن يورث ذوو

(80) انظر تفاسير: الطبري 10/ 58، والسيوطي 4/ 117.
(81) سير أعلام النبلاء 2/ 526.
(82) انظر تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1743، والسيوطي 4/ 117.
(83) تاريخ الإسلام 2/ 41.
(84) انظره في منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود 2/ 19.
(85) تاريخ اليعقوبي 21/ 13.

الأرحام، وأن يبطل ديوان المواريث. وكثر الدعاء للمعتضد. وكان قد سأل أبا حازم القاضي عن ذلك، فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فقال المعتضد: قد روى عدم الرد عن الخلفاء الأربعة.

فقال أبو حازم: كذب الناقل عنهم، بل كلهم رد، هم وجميع اصحابة، سوى زيد بن ثابت. وكان زيد يُخفيه حتى مات عمر، وهو مذهب فقهاء التابعين ومن بعدهم. ولم يذهب إلى قول زيد غير الشافعي في إحدى القولين، والقول الآخر كالجماعة.

فقال المعتضد: اكتبوا بذلك إلى الآفاق.

obeikandl.com